اهتمام المدارس الحرّة بتعليمية المستوى الصوتي العربي مظهر من مظاهر مقاومة سياسة الفرنسة والحفاظ على اللغة العربية المنطوقة

Free schoolsinterst in teaching the Arabicphoneticlevel, A manifestation of resistance to French policy and the preservationof the spokenArabiclanguage)

سعيد بوخاوش– مخبر اللّغة العربية وآدابها – جامعة البليدة2 – لونيسي علي
boukhaouchesaid@yahoo.com

تاريخ الارسال2026/01/15.	تاريخ القبول2026/03/16.	تاريخ النشر2026/04/15

الملخص

يتناول هذا المقال بالتحليل استراتيجية سياسة الفرنسة خلال فترة الاحتلال، من زاويتين متكاملتين: أولا عبر دراسة الأطر القانونية التي سنّتها الإدارة الاستعمارية لإبعاد العربية عن التداول من جهة، ومن جهةٍ ثانية، من خلال إبراز أشكال المقاومة الثقافية التي انتهجها الجزائريون لمواجهة هذه السياسة، ولا سيما عبر إنشاء المدارس الحرة ونشرها حفاظاً على اللغة العربية في أوساط الناشئة.

ويركز البحث بوجه خاص على مظاهر انحراف الأداء الصوتي لدى الجزائريين، وخصوصاً فئة الأطفال، مع إبراز الجهود البيداغوجية الكبيرة .

وتبرز أهمية المستوى الصوتي في كونه ركيزةً

Abstract

During the French colonial period, the Arabiclanguagewasofficiallytreated as a foreignlanguage. France adopted a deliberate and well-definedstrategic plan aimedatundermining Arabicthrough the promulgation of a series of strict lawsthatreflectedbroaderpolitical objectives of cultural domination and linguisticdisplacement.

This paper explores the implications of this French linguisticstrategy by analyzingboth the legalframeworkimposed by the colonial authorities and the Algerian response to it. In particular, ithighlights the efforts of Algerianswhoresistedthispolicy by founding and expanding free schoolsdedicated to preserving and transmitting the Arabiclanguage to youngergenerations.

Special attention isgiven to the issue of phonetic performance deviationamongAlgerians—especiallychildren and to the significantpedagogical efforts made by teachers and educationaladministrators to

أساسيةً في بقاء العربية وانتشارها، لما له من ارتباط وثيق بالمستويات اللغوية الأخرى، المعجمية والدلالية منها والصرفية والتركيبية. فكل خلل في هذه المستويات يقابله بالضرورة انحراف في الأداء الصوتي السليم، بما يهدد نقاء العربية وأصالتها في الممارسة اللغوية اليومية.		design curricula thatmaintainedaccurateArabicpronunciation and usage, despite the scarcity of resources. This studyunderscores the vital role of sound in sustaining the vitality and continuity of Arabic, as phonetic precisionisinherentlylinked to otherlinguistic dimensions —semantic, phonological, and syntactic. Anydeviation in these areas inevitablymanifests as a distortion in phonetic performance and, consequently, in the authentic expression of the Arabiclanguage.
كلمات مفتاحية: اللسانيات الصوتيات , المقاومة الثقافية , سياسة الفرنسة , التعليم العربي , المدارس الحرة , الاستعمار .		**Keywords:Linguistics ;Phonitics ;Cultural resistance ;French policy ;Arabeducation ;Free schools ;Colonialism.**

المؤلف: سعيد بوخاوش، **الايمايل**: boukhaouchesaid@yahoo.com

1. مقدمة:

عملت فرنسا منذ احتلالها الجزائر على تحطيم الكيان الثقافي الجزائري للقضاء على مقومات الشخصية العربية الاسلامية للجزائر، بهدف فصلها عن جسم العروبة و الاسلام، وإدماجها في كيان فرنسا الثقافي و الحضاري والديني واللغوي في القارة الأوروبية ، ولهذا وضعت أهدافا واضحة طبقتها وفق سياسات واستراتيجيات طيلة 132 سنة . لقد اعتبرت اللغة العربية لغة أجنبية ، وحطمت كل المؤسسات التي كانت منبعا لتعليمها ، ولهذا تفشت الأمية بدرجة رهيبة بين الجزائريين .. وبالمقابل قاوم الجزائريون سياسة الفرنسة وعملوا كل مابوسعهم من أجل الحفاظ على اللغة العربية خاصة في المدارس الحرة التي أنشأتها الحركة الوطنية لاسيما التيار الإصلاحي منها ،وعليه يجيب هذا المقال على الأسئلة التالية : ماهو واقع المستوى الصوتي للغة العربية في فترة الاستعمار ؟كيف ساهمت فرنسا في جعل العربية لغة أجنبية بين أبنائها

؟ وماهي أهم الأعمال التي قامت بها لتحقيق ذلك ؟ كيف كانت مقاومة المدارس الحرة لهذه السياسة ؟ وكيف حافظت على المستوى الصوتي فيها ؟ هذه الأسئلة وغيرها هي جوهر مادة هذا المقال .

2. الانحراف الأدائي في المستوى الصوتي في اللغة في فترة الاحتلال الفرنسي:

لقد أدى التضييق على اللغة العربية وانتشارها وغلق الأماكن المخصصة لتعلمها، وتلويت أماكن اكتسابها إلى تفشي الأمية وانتشار اللهجات واختلافها بين ولايات الوطن الواحد.

لقد كتب ابن جني في الخصائص في باب القول على اللغة وما هي فقال :"أما حدها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[1] وقد صار هذا التعريف عمدة تناقلته كتب اللغة[2] وكتب التعريفات [3]ونرى للغة تعريفات أخرى مثل ما عرفها ابن حزم: اللغة ألفاظ يعبر بها عن المسميات وعن المعاني المراد إفهامها[4] فمستويات اللغة المتدرجة من المستوى الصوتي إلى المعجمي إلى الصرفي إلى النحوي التركيبي تحوي نظام اللغة التي لها عدة خصائص اجتماعية و نفسية وعقلية ، فاللغة حينها نؤديها تكون على شكلين مكتوبة و منطوقة ، واصل اللسان منطوق ، ثم كانت الكتابة حادثة ، و يكون التواصل بين شخصين بالنطق و السماع ، إذ السمع أبو الملكات اللسانية حسب ما ذكره ابن خلدون ، ولا يكون السمع إلا إذا كان النطق، و هو ما يعبر عنه بالرسالة الكلامية منطوق ثم فيزياء ثم مسموع ،" فاللغة في أصل الوضع أصوات مركبة تتألف منها الكلمات ترمز إلى معان في النفس، وقد هيأ الله تعالى الإنسان للفظ بها، بما خلقه فيه من أعضاء لها القدرة على إصدار أصوات معينة، ووهبه القدرة على التحكم فيها وأدائها على وجه ما اصطلح عليه من غيره في التواصل وله القدرة على تطويرها والزياده فيها"[5] .

وإذا كانت اللغة بهذا المفهوم المختصر، فإن ما يلاحظ على ألسنة التلاميذ الجزائريين في فترة الاحتلال [6] هو الأخطاء الكثيرة في لسانهم فنجد فشو اللحن ، وهذا راجع إلى أكتسابهم اللسان من البيئة التي يعيشون فيها ، فهم ينسجون على منوال لغة المجتمع في الاسرة ومجتمع الأقران ، فما يسمعونه في محيطهم من استعمالات لسانية يقلدونه وينسجون على منواله ، ولا شك أن اللغة الموجودة في الأسرة ومجتمع الأقران هي العاميات المنتشرة في مختلف مناطق الجزائر ، وهذه العاميات هي مستوى من مستويات اللغة الفصيحة ، ولكن لا يسمح لهؤلاء التلاميذ بالاستماع إلى اللغة الفصيحة نظرا لعدم دخولهم الكتاتيب و المدارس ، وهذا يؤدي حتما إلى عدم اكتساب الطفل للسان الفصيح بمستوياته المختلفة المتدرجة ، أقصد

المستوى الصوتي و المستوى الصرفي و المعجمي و الدلالي و المستوى النحوي التركيبي ثم التداولي البراغماتي ، فالعرب قديما كانت ترسل بأبنائها إلى البوادي لاكتساب اللسان وهذا لتجنب العجمة ، فيكون السمع و الاستماع و الانصات مدخلات أساسية للكلام الذي سيشكل نظام اللغة ويصيره منوالا ذهنيا يصاغ منه كلاما مشابها له في البنية ومختلفا في الأداء ، وهو ما حرم منه أبناء الجزائر و غيرها من الدول العربية اليوم ، حيث لانج هذا الفضاء السليم غير الملوث لغويا و الذي تكتسب منه اللغة السليمة ، كما أنه لاوجود لمدارس وكتاتيب ومساجد وزوايا تساهم في تعويض هذه البيئة المفقودة ، مما أدى إلى انتشار الانحراف الصوتي في الكلام و كذلك أخطاء في البنى الصرفية و التركيبية التي تخالف اللغة المعيارية ، وهو ما جعل إليه جمعية العلماء و المعلمين المنضوين في مدارسها الحرة ، يدعون إلى الاسراع في بناء المدارس ونشر التعليم و الحرص على اللغة العربية و استعمالها نطقا وتحريرا. والمتتبع لواقع الأداء الكلامي في فترة الاحتلال يتبين له المآخذ الصوتية والنطقية التي يكشف عنها النطق الشفهي وتدركها أذن السامع، فأداء أفراد المجتمع والتلاميذ الصغار خاصة تكتنفه العديد من التغيرات الصوتية التي تؤدي إلى الابتعاد عن اللغة الفصيحه، الأمر الذي جعل اللغة العربية غريبة في عقر دارها ، والطفل لايسمع الكلام العربي الفصيح ، بل يسمع يوميا اللهجة المحلية في بيئته المجتمعية ، كما أنه إذا كبر و انتقل إلى مناطق متباعدة سعيا وراء لقمة العيش ، فإنه يسمع لهجات أخرى مختلفة في صوتها و مفرداتها وتراكيبها .

إن القرارات الجائرة التي طبقت في استراتيجية واضحة المعالم و بمخطط مدروس لتطبيق سياسة الفرنسة أدى إلى انحسار اللسان العربي على ألسنه الناشئة في الأجيال المتعاقبة وأدى إلى الانحراف الأدائي في المستويات اللغوية والتي انعكست على المستوى الصوتي.

3. واقع تعليم العربية غداة الاحتلال :

عاشت الجزائر فترات طويلة تتعامل باللغة العربية بداية بالفترة الفينيقية وما قبلها ، ثم الفترة الرومانية ومابعدها ، حيث استمر استعمالها أيضا ، ومع مجيء نور الاسلام انتشرت العربية مع القرآن الذي نزل بلسانها ، فتجذر استعمال اللسان العربي لدى الجزائريين وسامت الجزائر بكل مناطقها في الحضارة الانسانية حتى فترة الخلافة العثمانية التي تبين المخطوطات الموجودة في المكتبات الخاصة و العامة فيها تطور استعمال اللغة العربية ، وانتشر التعليم انتشارا واسعا باهتمام حكام الجزائر في الفترة العثمانية

بالأوقاف ، ومساهمتهم في بناء المساجد و المدارس و الكتاتيب و الزوايا ، والتي كانت منابع لنشر العلوم و اللغة العربية ، وإن لم تكن بالمستوى المطلوب ، فهي نفسها في كل الأقاليم العربية في هذه الفترة ، وهذا أدى إلى انتشار العلم و تناقص نسبة الأمية الذي وصل إلى 10% في بعض المناطق ، لكن مع وجود الاحتلال تغيرت الأمور ، فظهر ما يعرف بسياسة الفرنسة ، وتم القضاء على المؤسسات التي كانت منابع لتعليم العربية ، وأصدرت السلطات الفرنسية قوانين تحد من انتشار اللغة العربية ، وتمنع التعليم ، وتم مصادرة الأوقاف والأملاك التي كانت تمون وتمول المؤسسات التعليمية ، كما هدمت المساجد و المدراس ، فحسب دوفوكس فقد تم إحصاء أكثر من 139 مسجدا ومدرسة سنة 1830 في الجزائر العاصمة وحدها لم يبق منها إلا 09 مساجد سنة 1839 ، الأمر الذي جعل اللغة العربية مهجورة ، وتم استبدالها باللغة الفرنسية ، أضف إلى ذلك هجرة العلماء و المعلمين ونفي الكثير منهم ، وموت العديد منهم في الحروب و المقاومات المتعددة و التي شملت كل الجزائر .

لقد أدت هذه الاجراءات التعسفية غداة الاحتلال إلى صعف كبير لدى النشء الجزائري ، فحرمت أجيال من التعليم ، ولكن هناك من الفرنسيين أنفسهم من رأى أن وجود 10ملايين من الجزائريين لايمكن التعامل معهم دون معرفة لغتهم ، مما اضطر المحتل إلى تشجيع تعليم العاميات الجزائرية من جهة و إهمال تعليم العربية الفصحى من جهة أخرى حتى يقطعوا صلة الجزائريين بالقرآن والحديث وتراث الحصارة العربية الاسلامية ، فحاجة المحتل لا تتعدى انجاز الحاجات الادارية و الاجتماعية والاقتصادية خاصة الزراعية منها ، كما أنهم سمحوا بتعلم العامية لضباط الجيش ، وكذلك من يرغب من الفرنسيين العمل في الادارة لاسيما البلديات المختلطة ، وفي القضاء وغيرها ، بينما بقي الجزائريون يمتهنون الأعمال الشاقة بعدما صودرت أملاكهم وتحولت إلى المعمرين . ولا حظ لهم في التعليم . فاكتفوا بالكتاتيب التي تعمل على تحفيظ القرآن دون دراسة للعلوم المساعدة على فهمه وتفسيره ، ومن ثمة بقي القرآن في الصدور دون الكتب ودون تطبيق تعاليمه في الحياة العامة ، وكادت تختفي العلوم العربية (النحو والصرف والبلاغة والإنشاء والعروض ...) لولا وجود الكتاتيب القليلة التي تأثرت هي أيضا بالوضع العام (الاستيلاء على الأوقاف والحروب ، والغلق) ولكنها مع ذلك واصلت تعليم العلوم المذكورة بطريقة تقليدية .

4. فرنسا واتباع سياسة التجهيل للقضاء على اللغة العربية :

بعد احتلال الجزائر قام الاحتلال برسم سياسة واضحة لنشر الجهل في الجزائر ، إذ كان احتلالا استيطانيا ، وهو أخطر أنواع الاحتلال ، على غرار ما حدث مع الهنود الحمر في الامريكيتين ، فكان هدف فرنسا استبدال شعب بشعب ، ولغة وبلغة وثقافة بثقافة ، فشجعت الهجرات الأوروبية ، وصادرت أملاك الجزائريين وقضت على المقاومات الشعبية ، وأبادت العديد من القرة و القبائل ، وقتلت و هجرت ونفت كل من وقف في طريقها لاحتلال الجزائر ، الأمر الذي أدى إلى انتشار الجهل وعدم الاقبال على التعليم ، نظرا لعدم وجود مؤسسات ترعاه ترعاه ، ونظرا للمنع الذي طال المعلمين من فتح المدارس أو التعليم دون رخصة ، حيث كان الفرنسيون يرون في تعليم الجزائريين خطرا على وجودهم في الجزائر ، وأن تعلم الجزائريين يؤدي إلى وعيهم و التعرف على ما يحدث في العالم ، وهذا حتما يؤدي إلى استمرار المقاومات و المطالبة بالحقوق ، الأمر الذي يشكل خطرا على الوجود الفرنسي ذاته.

وقد ذكر في تقرير أعده حزب الشعب تطرق للقضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فترة الاحتلال ، ومما جاء فيه فيما يخص التعليم بالجزائر أنه " منذ احتلال الجزائر والاستعمار الفرنسي يمارس سياسة التجهيل ، وهو يعرقل تعلم اللغة العربية التي هي لغة الآباء والأجداد ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإنه لا يسمح بانتشار التعليم الفرنسي إلا مقدار " [7] .

ويذكر الأستاذ يحي بوعزيز أن مؤتمر الزراع الفرنسيين طالب بإلغاء التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين في 21 مارس 1908 حيث رأوا أن ذلك سيشكل خطرا على الوجود الأوروبي في الجزائر ، وأنه سيؤثر على اقتصاديات الاحتلال الفرنسي ، كما أن تعليم الجزائريين سينقص من اليد العاملة ، فينبغي إبقاء أبناء الجزائريين عمالا وفلاحين فقط في المصانع و المزارع التي هي ملك للمعمريين [8] .

1.4.غلق المدارس ومنع المعلمين من التعليم العربي :

قد يندهش الكثيرون عندما يلاحظون أن الأغلبية الساحقة من الجزائريين يعجزون عن تكلم اللغة العربية ، وإذا كان 90 % من الجزائريين أميين إبان الاحتلال فالذنب ذنب الاستعمار الفرنسي " ذلك أنه ما إن تم الاحتلال الفرنسي، حتى نشبت حرب شعواء على اللغة العربية ، فتم هدم المساجد و المدارس و الزوايا وتحويل الكثير منها إلى غير مهامها ، كما أن المنع طال المعلمين الذين يدرسون في هذه المؤسسات ، وقطعت أرزاقهم بعدما تم مصادرة الأوقاف التي كانت تمد هذه المؤسسات بالتموين و التمويل ، وقد ذكر

يحي بوعزير مثالا عن ذلك و هو قانون 1904 الصادر في 24سبتمبر ، حيث صرحت بعض بنوده أنه لا يمكن السماح لأي معلم جزائري ليس له رخصة من عامل العمالة أو الضباط العسكريين أن يمارس التعليم أو يقوم بفتح مدرسة لتعليم اللغة العربية . وقد وضح هذا القانون الشروط التي ينبغي أن تتوفر لمنح رخصة التعليم أو فتح مدرسة لتعليم العربية ، نذكر من بينها [9]:

1 . أن يقتصر تعليمه على تحفيظ القرآن الكريم فقط دون غيره .

2 . أن لا يقوم بشرح آياته وخاصة التي تتحدث عن الجهاد .

3 . أن لا يقوم بتدريس تاريخ الجزائر وجغرافيتها وتاريخ وجغرافية العالم العربي الإسلامي.

4 . أن يكون مخلصا للإدارة الاستعمارية ، ويخضع لأوامرها مهما كان شأنها .

5 . يحظر على المدارس بعد الإذن بفتحها أن تستقبل الأولاد الذين في سن الدراسة أثناء ساعات التعليم في المدارس الفرنسية حتى ولو كان ذلك في القرى التي تبعد عنها بأكثر من ثلاث كيلومترات .

لقد صدرت عدة قرارات تمنع استعمال اللغة العربية و التعليم بصفة عامة

منها قرار 21 مارس 1908 والذي طالب بإلغاء التعليم الابتدائي بالنسبة للجزائريين.

2.4. قرارات وقوانين لطمس انتشار اللغة العربية طيلة فترة الاستدمار الفرنسي .

لقد سن الاستدمار الفرنسي عدة قوانين وقرارات لطمس انتشار اللغة العربية في دارها، نذكر منها.

-1830سبتمبر /قرار كلوزيل [10] حيث جاء هذا القرار مباشرة بعد الاحتلال ، الامر الذي ساهم في تفشي الأمية وانتشارها ، كما أنه أثر تأثيرا واضحا على التعليم في الجزائر ، ومن المعلوم أن تطبيقه تأخر لغاية 07 ديسمبر 1830

-1832/10/25 ، تم إصدار -مخطط جيراردان(Gerardin) ومضمونه له علاقة بالأوقاف وإحصائها ومصادرتها ، الأمر الذي عطل العمل في المؤسسات التعليمية : الذي له علاقة بالأوقاف.

- 1830 تم إعداد تقرير مفصل للأوقاف في الجزائر وهو يعتمد على المخطط السابق[11].

- **21 /08/ 1839:**قرار يعدل مفهوم الملكية[12].

- 1838 إصدار مرسوم[13] **من قبل** الحاكم العام ، مما ركز عليه هذا المرسوم هو فتح المجال أمام الذين يعملون بالادارة الفرنسية بتعلم العامية الجزائرية ، وهذا في إطار فهم الحياة الاجتماعية للجزائريين وتسهيل التحقيق معهم في أخذ المعلومات الهامة التي تساعد على تحقيق مصالح المعمرين .

– 23 /03/ 1843: قرار صادر عن وزير الحربية دالماتي جاءت فيه ثمانية مواد وقد ركز على مصادرة الأوقاف ، حيث نص صراحة أن كل الموارد الناتجة عن الأوقاف قد صارت تابعة للميزانية الاستعمارية[14].

– 04 /05/ 1843: جاء هذا القرار لمصادرة و ضم كل الأوقاف التابعة للجامع الكبير و إلحاقها بمصلحة أملاك الدولة .

– 01 /10/ 1844: مرسوم ملكي يهدف إلى إخضاع كل الأوقاف و الأملاك العقارية لملكية الدولة و توزيعها على الأوروبيين [15]،

– 16 /08/ 1848[16] :**إصدار قرار** جاء فيه أن المدارس الفرنسية واليهودية تكون تحت إمرة وزارة التعليم ، بينما تتولى وزارة الحرب إدارة المدارس الإسلامية. هذا القرار بين بوضوح توجهات الاحتلال الفرنسي لاسيما بعد القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر حيث فتحت المجال للتعليم للفرنسيين ، بينما صادرت وأغلقت كل المؤسسات التعليمية أمام الجزائريين ، و ألحقتها بوزارة الحرب.

03 /10/ 1848: عينت الإدارة **ديفوكس** مسؤولا على إحصاء المساجد والمؤسسات التعليمية و الزوايا و الأضرحة في مدينة الجزائر ، حيث وضع هذا الأخير تقريرا شاملا وقدمه للسلطات الفرنسية المحتلة ، وبعدها صارت سلطات الاحتلال تشرف مباشرة أوقاف التابعة للمؤسسات التعليمية و الدينية ، والحقيقة أن هذا الإحصاء على الرغم كونه ناقصا إلا أنه بين الوضع الذي كان في الجزائر العاصمة لوحدها ، وعدد المساجد والكتاتيب و الزوايا المنتشرة و التي تم تحويلها أو هدمها ومصادرتها فيما بعد وتجدر الإشارة أن الأمر نفسه حدث في الولايات الكبرى الأخرى، هذا الواقع أدى إلى انحسار تعلم العربية في الجزائر .

20 /01/ 1849 : قرار تم بموجبه تعيين لجنة من عدة شخصيات و خبراء من قبل وزارة التعليم العمومي والعبادات ، أسندت لها مهمة تعزيز استعمال اللغة الفرنسية في الجزائر و الوسائل الكفيلة بنشرها بين الأهالي .وقد قدمت اللجنة تقريرا مطولا ، وخرجت عن الإطار المحدد لها ، وعالجت مسألة تعليم الأهالي في الجزائر [17] ..

– 1851: جاء هذا القانون لتعزيز القرارات الأخرى المتعلقة بمصادرة الأوقاف و إلحاقها بملكية الدولة .

– قانون مجلس الشيوخ (سيناتوسكونسولت SenatusConsulte) كان هذا القانون خاتمة القوانين المجحفة في حق الجزائريين لتعلقه بالأحوال الشخصية ، وتفتيت القبائل و العروش التي تبني المجتمع

الجزائري ، وركزت على مصادرة أراضي العروش و تخصيص الملكية الفردية ، الأمر الذي أدى إلى تفتت البنى الاجتماعية للجزائريين و ، والقضاء على الهيئات العلمية التي كانت منبعا للتعليم [18]

– 1871 (كود دو لانديجينا)[19]

تضمن هذا القرار عدة مواد تضبط الاهالي ، واتصف بالعنصرية و القمع ومصادرة الحريات ، كما أطلق العنان للمستوطنين للنيل من الجزائريين ودفعهم إلى هجرة أراضيهم من خلال الضرائب المرتفعة .

–12/24/ 1904: حدد هذا القرار شروط الحصول على الرخصة للتعليم أو فتح مدرسة ، والتي تمنح بصفة مباشرة من الضابط العسكري أو مسؤول العمالة .[20].

– 21 /03/ 1908 :قرار يمنع الجزائريين من التعليم وإبقائهم كيد عاملة في مزارع المعمرين ، وأن تعليم يؤثر على المصالح الاقتثادية للمعمرين .[21].

– 08 /03/ 1938 : قرار صادر عن وزير التعليم الفرنسي يضع اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر ،كما منع هذا القرار تعليم اللغة العربية ، وقد انجر عن هذا القرار العديد من الأحكام التعسفية ، حيث تم تغريم العديد من المعلمين وسجنهم ونفيهم ، كما تم غلق العديد من المدارس التي كانت تعمل لسنوات و هي مدارس حره تقوم على تمويل من الأهالي ، وقد كتبت الصحف العديد من المقالات في هذالموضوع ، كما الجزائريين راسلوا السلطات الفرنسية بعرائض توضح ما نتج عن هذا القرار من نتائج.

– 22 /1945/07 أصدرت السلطات الاستعمارية قرارا يفرض على كل معلمي اللغة العربية ، معرفة اللغة الفرنسية ، كشرط أساسي لتوظيفهم في المدارس ، و استهدفت من هذا القرار القضاء على الجهاز العربي و تحطيم كيانه ، لأنها تعلم أن معظم أولئك المعلمين لا يحسنون الفرنسية [22] .

ويمكن أن نتبين من خلال قراءة سريعة لنصوص هذه القوانين المجحفة ، أنها تحمل في طياتها عدة أهداف للسيطرة على الجزائر شعبا و أرضا ، و إذا كانت بعض هذه القوانين لا يمس مباشرة اللغة العربية، إلا أنها في حقيقة الأمر كانت أهم المعاول الهدامة لثوابت الأمة من دين ولغة و كيان . ، ففي حين تنص هذه القوانين على مصادرة أملاك المدارس و المساجد و الزوايا و أماكن التعليم بصفة عامة ، و التي تعتبر الأماكن الأساسية لانتشار اللغة العربية ، نجد من جهة أخرى أنها تسعى إلى تفتيت اللحمة الاجتماعية العربية الإسلامية الموجودة في المجتمع الجزائري .

هذه القوانين و المراسيم ، هي مواقف واضحة من الاستعمار ، وهي من أساليب الفرنسة والقضاء على العربية بالجزائر ، فالاستدمار يعتبر تدريس اللغة العربية اضطهادا عنصريا يجب مقاومته حتى لا تتعرب البلاد و تصبح عربية ، و كأنها لم تكن عربية مسلمة ، و كأن العربية لم تعش فيها ثلاثة عشر قرنا كاملة . كما يعتبر اللغة العربية ميتة و أجنبية عن الجزائر العربية المسلمة .. و كأنها بلاد لاتينية تقع في ركن من أوروبا .. هكذا كان ينظر إلى العربية التي بفضلها انتقلت إليه الحضارة [23].

وهكذا يتبين جليا أن الاستعمار الفرنسي جعل من اللغة العربية لغة أجنبية ، وأغلق جميع المنابع التي من شأنها نشرها وتطويرها وما قرار 1938 الذي أصدره وزير التعليم الفرنسي، والذي يعتبر العربية لغة أجنبية في الجزائر ، ويمنع تعليمها تبعا لذلك في المدارس إلا دليلا واضحا على ذلك.

3.4. اهتمام الاحتلال بتأسيس الجمعيات لنشر اللغة الفرنسية :

لقد اهتم الاحتلال الفرنسي بالتعاون مع الجانبين المدني والعسكري على تأسيس العديد من الجمعيات التي تسهر على فرنسة الجزائر ، ويمكن التمثيل لذلك بـ " الجمعية الوطنية لنشر اللغة الفرنسية Association Nationale pour la propagation de la langue française[24] ، وقد تأسست هذه الجمعية سنة 1883 ، وكان هدفها الأساسي ربط الوصال الثقافي للدول المستعمرة بالدولة الاستعمارية الأم " فرنسا " ، وكان رئيس الجمعية بول بورت (PAUL – BERT) ويعينه في تسيير الجمعية الكاردينال لافيجري ، وكان هذا الأخير نائبا لرئيس الجمعية ، وهذا يبين مدى اهتمام المبشرين و المنصرين بالجانب اللغوي لاسيما الفرنسية ، والقضاء على اللغة العربية لما في هذا العمل من تسهيل لأعمالهم ، و إن كانوا في بعض الأحيان يتعلمون اللغة العربية لكي يندمجوا مع أفراد الشعب البؤساء ، ليحققوا مآربهم بعد ذلك . وكان في مكتب التسيير أيضا ثلاثة آخرون [25]: النائب الجمهوري كارنو (Le senateurRepublique Carnot) والجنرال فريدرب (Générale Fridherbe) والقس جوليان دولاقرافيير (Le Pasteur Julien De la Gravière) .

إن تأسيس مثل هذه الجمعيات كان منتشرا في الجزائر ، فما من هيئة تنظيمية كولونيالية إلا وتسيير كل أعمالها كان باللغة الفرنسية كما أنها كانت تحتقر العربية والعرب .

4.4. نشر سياسة الفرنسة من خلال الجمعيات التبشيرية:

استغل الكاردينال لافيجري ظروف معيشة الجزائريين الناتجة عن الاحتلال والمجاعات ،فأسس جمعية الآباء البيض التبشيرية (أو جمعية مبشري السيدة الإفريقية) عملت على تنصير الجزائريين وبعدها نشر التعليم الفرنسي الديني [26]، وقد أوجد لافيجري عدة فروع لهذه الجمعية منها جمعية إخوان الصحراء المسلمين و جمعية الأخوات المبشرات للسيدة الإفريقية ، كما عمل على اتقان اللهجات الجزائرية و تعلم العامية[27] للوصول إلى شرائح المجتمع خاصة البنات وداخل الأسر و بعض المستشفيات و المزارع . كما أنهم ترجموا الانجيل للعامية الجزائرية ليسهل تلقين الجزائريين لاسيما الصغار منهم تعاليمه ويسهل تنصيرهم . لم يكن هدف هذه الجمعيات التعليم بقدر ماكان نقل شريحة من المجتمع الى النصرانية و استعمالهم فيما بعد لضرب إخوانهم إذا حدث النزاع من باب فرق تسد .

5.4. الاهتمام باللهجات على حساب اللغة العربية :

ومن منطلقات سياسة الفرنسة أيضا الاهتمام باللهجات المحلية واللسان العامي على حساب تعلم اللغة العربية الفصحى واستعمالها ، فأحدث رجال الإدارة الفرنسية بالجزائر إجازات باللهجات ، وشهادات باللسان العامي الدارج (العربية الدارجة) ، واعتبروها مماثلة أو بديلة عن اللغة العربية الفصحى [28].

وحتى تقضي على اللغة العربية ويخلو الجو للغة الفرنسية في التداول والاستعمال ، وحتى تربط إجراءاتها بالواقع ، وتشجع الطلبة على الانتساب للمدارس التي تعلم اللهجات ، أصبحت تشترط هذه الإجراءات في الوظيف العمومي و عند الترقية في السلك الإداري .

6.4. إيهام الناس بأن اللغة الفصيحة صعبة :

لقد حاول مفكرو الاستعمار أن يجعلوا من الفصيحة لغة ميتة مثلها مثل اللاتينية ، فقد قالوا بأن العربية الفصحى لا توجد إلا في الخطب المسجدية والدروس والأذكار ، وبالتالي فهي لغة طقوس حسبهم تستعمل في الدين ، مثلها مثل اللاتينية القديمة ، وحاولوا أن يطوروا اللهجات المحلية تطويرا تطبيقيا ، وبهذا راحوا يعلمون الفرنسيين من جند وغيرهم اللغة الدارجة ليسهل عليهم التعامل مع أهل البلد ويذكر اليكس دوطوكفيل هذا الانشغال[29] " أبدى لنا د . ترولييه*Trollier (24 ماي 1841) ملاحظة صحيحة قال أنه أمر مزعج أن يحكم بلد بموظفين دون أي صنف من المراقبة من المحكومين ، وهذا أكثر

إزعاجا في مستوطنة لا يكون فيها الموظفون سوى مارين، مما يبقيهم غرباء خصوصا في مستوطنة كالجزائر يمنعهم القانون من التملك فيها ".

7.4. فرنسة برامج التعليم بالعربية غداة الاحتلال :

كان التعليم مقتصرا على أبناء المستوطنين ، وهو تعليم أوروبي بحث ، وقد عمدت السلطات الفرنسية إلى وضع برامج باللغة الفرنسية وبرامج باللغة الدارجة ، لغرض التعامل مع الأهالي .حيث أراد الفرنسيون أرادوا أن يوجدوا هوة بين اللغة الفصيحة والدارجة حتى يسهل إبعاد الناس عن القرآن ،ولهذا لما سأل دوطوكفيل عن الوقت الذي يقضيه شخص عادي الذكاء وبعمل دؤوب في تعلم اللغة العربية المكتوبة ؟ أجابه: من أربع إلى خمس سنوات على الأقل ، أما العربية المنطوقة بإمكان الإنسان أن يحقق غرضه في فترة أقل من الشهور إذا رغب في الذهاب إلى المقاهي ، ومخالطة المورس " ، و هو ما يعبر عنه بالانغماس اللغوي ، أي تعلم اللغة من خلال المعايشة، و هو ما طبق فيما بعد فعلا ، حيث صارت الصحافة تروج للدارجة ، كما أن العقود و المعاهدات و المراسلات كانت تتم بالدارجة أيضا ، و ساهم العديد من الجزائريين الذين اندمجوا مع الأوروبيين في الترويج للدارجة أيضا .وهذا أدى إلى اختلال في الأداء الصوتي.

5. ظهور المدرسة الحرة و نشر اللغة العربية و مجابهة سياسة الفرنسة :

علمنا حالة تعليم العربية فيالجزائر ، و كيف عمل المستوطنون على الوقوف ضد التعليم العربي في الجزائر ، كما تبين لنا المستوى المنحط الذي آلت إليه العربية بعد اعتبارها لغة أجنبية ، و اعتبار الفرنسية لغة رسمية .. لا سيما بعد الاحتفال بالمئوية المشؤومة للاستيطان الفرنسي في الجزائر، لقد أراد الفرنسيون من خلال ذلك "تكريس الجزائر الفرنسية إلى أبد الآبدين"[30].بل إن أحد المغرورين الفرنسيين الحمقى قال: "إن هذا الاحتفال إنما لنصلي صلاة الجنازة على الإسلام و العربية في الجزائر! فقد قبرناهما إلى الأبد.. الجزائر فرنسية في كل أشيائها!"[31]. لقد كان لهذا الاحتفال وقع كبير، لقد داس كرامة الجزائريين وحرك مشاعرهم الوطنية وعواطفهم الدينية، إن هذه الحالة جعلت من الاتجاه الإصلاحي يعمل جاهدا في مجال إصلاح التعليم للحفاظ على عناصر الهوية الجزائرية ،فكان نقطة انطلاق جديدة للحركة الوطنية في الجزائر، وبدأ ميزان القوى يتغير لصالحها، وهكذا ولدت جمعية العلماء وانتشرت المدرسة الحرة لتكوين جيش من المعلمين المدافعين عن العربية ، ومجابهة سياسة الفرنسة بعد ذلك .

1.5. انتشار المدارس الحرة في الجزائر للحفاظ على مقومات الأمة :

من الوسائل التي قامت عليها الحركة الوطنية للحفاظ على اللغة العربية ، والتصدي لسياسة الفرنسة بناء المدارس ، فإيمانها بأن وضع الجزائر اللغوي لا يمكن أن يتغير أو يتحقق إصلاحه إلا إذا تغير أفراده وأبناؤه لقوله تعالى : " إِنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِم " [32]، ومشهور عن ابن باديس أنه قال : " أنا أحارب الاستعمار ، لأني أعلم وأهذب ، فمتى انتشر التعليم والتهذيب في أرض أجدبت على الاستعمار ، وشعر في النهاية بسوء المصير " و هكذا نجد ابن باديس يدعو إلى بناء المدارس بل و يشارك فيها " فقد تأسست في الوطن كله جمعيات و مدارس و نوادي باسم الشباب و الشبيبة ، و لا نجد شابا إلا نادرا إلا و هو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات و شعار الجميع : الاسلام ، العروبة ، الجزائر[33].

وقد كتب محمد الحسن فضلاء كتابا في 4 أجزاء بعنوان " المسيرة الرائدة للتعليم الحر بالجزائر "، وقد جمع العديد من تاريخ المدارس الحرة ، وكيفية تأسيسها ، وإلحاقها بجمعية العلماء ، ولقد كان اهتمام جمعية العلماء ببناء المدارس لتعليم العربية شغلها الشاغل ، ولم تقتصر على البناء فقط ، بل كان الكراء والشراء أيضا معمول به في هذا الاتجاه ، ويمكن أن نذكر بعض المدارس ، وذلك على سبيل التمثيل لا الحصر : .

مدرسة الشبيبة الإسلامية : مقرها 17 نهج (رامب فالي) لوني أرزقي حاليا ، تأسست سنة 1931 ، وهي تشمل على ثمانية أقسام واسعة ، كانت تحت إشراف الأستاذ الطيب العقبي ، وكان مديرها محمد العيد آل خليفة ، ومن أساتذتها : عبد الرحمن الجيلالي ، فرحات ابن الدراجي، جلول البدوي ، باعزيز بن عمر ...[34]

. مدرسة شريفة الأعمال بالقصبة ، تأسست سنة 1934م ، وهي أول مدرسة حرة للبنات [35].

. مدرسة نادي الرشاد بالقصبة سنة 1940م ولها ثلاث ملحقات :ملحقة نادي الموصلية في 10 نهج ميدي. . ملحقة باب الجديد التي تدعى الخلدونية . . ملحقة الراهب بلوك قرب جامع فارس.

. المدرسة الناصرية ببوزريعة (1954م) ، مدرسة تهذيب العربية بالأبيار ، مدرسة الفلاح ببئر خادم (1945م) .

. المدرسة التهذيبية بسانت أوجين (بولوغين) : ابتدأت في أواخر الثلاثينات بمبادرة فردية قام بها الأستاذ الشاعر الخطيب أحمد سحنون الذي فتح مكتبا على عهدته لتعليم القرآن ، وبعض المبادئ في العربية والدين ، في جناح من سكناه ، ثم التقى كل من الشيخ الطيب العقبي، والأستاذ أحمد توفيق المدني ،

والأستاذ الأمين العمودي ، فاتفقوا على إنشاء مسجد ومدرسة ، وبدأ البناء سنة 1947م ، وفتحت المدرسة والمسجد في 2 جانفي 1949م ، وكان يشرف عليها أحمد سحنون مدير المدرسة والواعظ والمرشد بمسجدها بمساعدة الأحسن بن حمة [36] ، وعمر العرباوي ، خالد بشو ، إسماعيل زكريا وعمر بونان ، مدرسة مستقبل الشباب بحسين داي ، تأسست سنة 1937م ، مدرسة النصيحة بحي ليفيني حسين داي سنة 1936م ، مدرسة الصادقية بسلام باي ، مدرسة التربية والتعليم بالمرادية 1949م غالبية المؤسسين من عائلة مراد ديدوش ، مدرسة التهذيب ببلكور (طريق التوت) ، مدرسة البنات بالحراش 1944م ، مدرسة الشيخ طفيش بالحراش سنة 1952م ، مدرسة فتح الرحمن بوادي الرمان 1947م مدرسة التربية والتعليم ببوفاريك 1941م ، مدرسة الشبيبة بأربعاء بني موسى 1932م، مدرسة التربية والتعليم بمارانكو (حجوط) 1948م ، مدرسة الإرشاد بالبليدة ، مدرسة التهذيب بالبليدة 1952م، مدرسة تهذيب البنات بالبليدة 1955م ، مدرسة عمر مع مسجدها ،مدرسة بني تامو . مدرسة أولاد يعيش . مدرسة حي الدويرات . مدرسة وادي العلايق ، وكلها مدارس كانت امتداد للمدارس الكبرى ، وتحولت هذه الأخيرة إلى أمهات المدارس . . مدرسة الإحسان بالقليعة 1934م ، المدرسة الرشيدية بشرشال 1936م، مدرسة التهذيب والإرشاد بالمدية 1936م ، مدرسة الفلاح بمليانة ، مدرسة الإصلاح بدلس 1931م ، مدرسة الشبيبة بتيزي وزو ، مدرسة التربية والتعليم بعزازقة ، مدرسة التربية والتعليم بالبويرة ، مدرسة الإخلاص بالجلفة ، مدرسة التهذيب والمواساة بسيدي عيسى ، مدرسة الشبيبة بالأغواط .

ويمكن أن نذكر أيضا بعض مدارس الجنوب مثل : معهد الحياة بالقرارة ، مدرسة الحياة الابتدائية بالقرارة، مدرسة الإصلاح بغرداية ، مدرسة النهضة بالعطف ، مدرسة الجابرية ببني يزقن ، مدرسة النور بينورة ، مدرسة الفتح بيريان ... وغيرها .

والحقيقة أنه لا يمكن الوقوف عند جميع هذه المدارس ، لاسيما بشرق البلاد وغربها، ولقد أشرت في هذا المقال إلى الوسط ، ولكن بناء المدارس كان في كل مكان ، ويمكن أن نؤكد هذا بعرض بسيط لمدارس العاصمة وضواحيها فقط : ففي الجزائر العاصمة وما جاورها مدارس متعددة ، تفوق ثلاثين مدرسة ، وربما تجاوزت الأربعين ، وقد كان لهذه المدارس دور بارز في نشر اللغة العربية وازدهارها، وهذه المدارس قد تكون

ذات قسم واحد أو قسمين أو ثلاثة أو أكثر بحسب استعداد القائمين بشأنها ، وقلما يخلو حي من الأحياء العربية منها وخاصة في الأحياء الشعبية.

وعلى الرغم من أن هذه المدارس لم يبق منها اليوم إلا أسماءها ، إلا أنها تبقى شاهدة على مقاومة الشعب الجزائري لسياسة الفرنسة ، والحفاظ على اللغة العربية، ونشر النهضة القومية، وبث الروح الوطنية ، وتحقيق الاستقلال فيما بعد .

إنها بحق معاقل جهاد ضد سياسة الفرنسة ، والجهل والأمية والتخلف ، لذلك وجدنا أن الاستعمار بكل هيئاته كان يقصدها ليخنق صوتها ، وأصوات القائمين عليها ، ويقضي على نشاطهم .

وفيما يلي قائمة لهذه المدارس في حيز محدود جدا وهي العاصمة لوحدها ، هذه الأخيرة التي كان فيها أكثر من 100 مسجدا قبل دخول الاستعمار ، ولم يترك فيه المحتل إلا 12 مسجدا، ها هي المدارس الحرة تعود من جديد : " الفتح ، السعادة ، نادي الإصلاح في بلكور ، والهداية ، فتح القلوب بالعناصر، والصلاح والنصر بحسين داي ، الرحمة ، الإقبال بالأبيار ، والمرشدة بشارع الشهداء ، وابن خلدون بالقصبة ، والتفكير ، والجلالية ، والخالدية بمناخ فرنسا ، والفتح بتيليملي ، والرحمانية بباب الوادي والسيدة الإفريقية ، ومدرسة باراناس ، ومدرسة حومة الكولون والصباح بباب الجديد ، والحومة الأهلية بالحراش وبئر مراد رايس ...[37] ، وهؤلاء هم الجند المجهولون الذين عملوا فيها :

الأخضر السائحي ، فريدة جاكنون ، أمزيان الثعالبي ، محمد منيع ، عمر حموش ، الربيع بوشامة ، عبد الكريم العقون ، الطيب المغزي ، ، السعيد الحجازي ، زينب عامر ، مالكة ابن عامر ، الشريف بوعكاز ، محمد وعلي العوبي ، الطاهر الأطرش ، الهادي الجموعي ، الطيب السلطاني ، محمد بن البجاوي ، علي السايح ، عبد الملك فضلاء ، عبد الرحمن بوشاشي ، عبد المجيد السبع ، البشير ابن الشيخ ، أحمد شقار ، المدني زياني ، يوسف كوكام ، مصطفى غانم ، الشريف طوالبي ، عيسى فضيلي ، حورية شكري ، حسين بن الميلي ، السعودي مرداوي ، عبد الباقي الصحراوي ، باعزيز بن عمر ، إبراهيم بن سليمان ، الصالح معافري ، رابح هلالي، عبد الرزاق قسوم ... وغيرهم كثير [38].

وأوردت هذه الأسماء في منطقة واحدة لأبين مدى تغلغل الجهود في أهالي الجزائر ككل ، وترحيب الشعب بمبدأ المدارس الحرة ، ونشر التعليم ، والحفاظ على اللغة ، والتصدي لسياسة الفرنسة .

إن المبادرات العديدة إلى فتح المدارس ، وكذلك أقسام منفردة عبر الوطن ، تأتي في غالب الأحيان بدون تكلفة جهد كبير ، وهذا دليل قاطع على انتشار الرغبة في نشر العلم والتعليم ، ورفع شأن اللغة العربية الجريحة ، التي أصبحت في عقر دارها ، وبين أهلها في نظر الأجنبي الدخيل لغة أجنبية ، لهذا أصبح الناس كلهم رجالا ونساء ، يرون أن تعلمها ونشرها ، والتعرف عليها ، والتمسك بها ضروري مثل الخبز والماء والهواء ، فلا نعجب إذا وجدنا هذا النوع من المدارس منتشرا في كل مكان ، ومعظم المدارس الكبرى تمخضت عن أقسام منفردة ، قام بها غيورون على حرف الضاد والإسلام والوطن ، فقد نهض الشعب من سباته ، وشعر بخطورة الجهل والأمية ، فهب وانطلق مندفعا لاستعادة مجد لغته [39] ، ولهذا تأسست عدة مدارس ...

لقد كان لفتح عدد كبير من المدارس العربية الحرة انطلاقا من الأعوام الثلاثين من القرن العشرين إسهام كبير في بلورة الحركة الثقافية والأدبية والفكرية في الجزائر ، والحفاظ على اللغة العربية ، فصارت في كل مدينة مدرسة عربية ولو صغيرة ، تستقبل أطفال الجزائريين لتعلم العربية وتذوق آدابها ، ومحاولة محاكاة نصوصها تمثلا ، ثم محاولة اكتسابها كتابة .

ولقد بلغ تعداد المدارس العربية الحرة التي أسستها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1955م ، 400 مدرسة عصرية لتدريس العربية ، وميادين الفقه والتاريخ الإسلامي والعلوم الأخرى ، وبلغ عدد معلميها في السنة نفسها قريبا من 700 معلم ، في حين بلغ عدد تلامذتها زهاء 75000 تلميذ [40].

ولم ينهض بهذا الإنجاز الكبير أي من الحركات التجديدية في العالم الإسلامي مشرقا ومغربا غير جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ولعل ذلك كان بحكم نشوئها في بلد يهيمن عليه الاحتلال الأجنبي ، فكانت تدافع عن اللغة العربية ، و لا تزال تصطدم مع المحتلين الفرنسيين الذين كانوا يمكنون الفرنسية ولا يرعوون[41].

لقد اعتنى الجزائريون بالمدرسة الحرة اعتناء كبيرا ،و لهذا تفطن الاستعمار لحقيقة المدارس الحرة فنجد أحد المعمرين يقول : " إن العلماء كانوا يمثلون أكبر الخطر على الفكرة الفرنسية في الجزائر فشعب مدارسهم عبارة عن خلايا سياسية، والإسلام الذي يمارسونه مدرسة حقيقية للوطنية " [42] لقد جابهت فرنسا العلماء و المعلمين لاسيما بعد صدور قرار 09مارس 1938 و هذا دأبها لقطع الصلة بين الجزائر و لغتها منذ أن وطئت أقدامها أرض الجزائر .

2.5. جهود المدارس الحرة و إحياء اللغة العربية فيها :

لقد كثرت المدارس التابعة لجمعية العلماء المسلمين ، ولم تكن السيطرة عليها سهلة ، ولهذا كان في كثير من الأحيان تسرب المفرنسين ،لا سيما في المدن و كذلك في المناطق التي يكثر فيها التعليم التبشيري[43] ، وكانت جمعية العلماء تتصدى لذلك، وتحاول دوما نشر اللغة العربية، ويمكن أن نمثل لذلك بمدرسة الشبيبة في مرحلتها الثانية ، بعد الحرب العالمية الثانية حيث غادرها الأستاذ محمد العيد وكل زملائه المعلمين من بعده " والغريب في الأمر أن الفرنسية قد دخلت إلى الشبيبة كمادة أساسية ، من بابها العريض الواسع قصد تمويلها ، وحينما دخلت[44] إلى المدرسة وجدت فيها العربية في إدبار ، والفرنسية في إقبال وازدهار ، يقوم بها معلمون فرنسيون ، أوتوا من صناعة التعليم والخبرة في شؤون التدريس الشيء الكثير ، بما جعل كفتهم ترجح ، وتحتل الصدارة ، وتلهج بها الألسنة ، أما العربية فقد أسندت إلى أصناف المعلمين دون المستوى المطلوب ، فبادرت إلى تدارك الأمر قبل فوات الأوان ، واتفقت مع الأستاذ الطيب العقبي، الذي وافقني وشجعني على تطوير المناهج والبرامج ،وبث الروح العربية فيها ، والنهوض بالشبيبة من كبوتها " [45].

و تجدر الإشارة هنا إلى أن زعماء الإصلاح كانوا يحثون طلبتهم على الحديث بالعربية و التأليف بها ، وهكذا تجد العربية الفصحى متداولة في حجرة الدرس و كذلك في تأليف المسرحيات والأناشيد و غيرها .

1.6. تمظهرات الانحراف الصوتي لدى الناشئة:

لقد شخص العديد من المعلمين و التربويين . خاصة اللذين خرجوا إلى الزيتونة و الازهر والحجاز وسوريا وأخذوا الاجازات وعادوا إلى أرض الوطن . النقص الكبير في المستوى اللغوي لدى التلاميذ ، وعددوا الأخطاء اللغوية لديهم ، وتبين لهم العديد من الأخطاء يمكن أن أمثل لبعض المظاهر الأدائية الخاطئة في المستوى الصوتي والتي نجدها تسللت إلى ألسنه الجزائريين.

– أخطاء في الوقف والابتداء: وهو أمر يؤدي إلى اختلال المعنى، ونجد كثيرا من المتكلمين يخطئون فيها ،فالسكون يكون عند انتهاء المعنى انتهاء تاما.

– اخطاء في مخارج الأصوات وصفاتها وهذا أدى إلى عدم نطق الحروف وفق قواعد الصوتيات العربية، وهذا راجع الى ابتعاد الاطفال في السنوات الأولى على حفظ القرآن الكريم بالتلقين وتلقيه مشافهة من عند من هو حافظ للقرآن الكريم بالتجويد ن فغالبا ما يركز المعلمون في الكتاتيب على أداء القرآن مثلما تلقوه مشافهة من معلميهم ، الامر اللذي أدى بالاطفال إلى طهور اللحن على ألسنتهم ، لاعتمادهم

الكلام العامي ، فصاروا لا يفرقون بين العديد من الأصوات و الحروف ،فمثلا نجد الخلط بين الضاد والظاء والدال، كما أن البعض منهم لا يفرق بين التاء والثاء، وبين الذال والدال بل لا يفرقون بين الصاد والسين، ونجده يرقق اللام في موضع التفخيم ويفخمها في موضع الترقيق ،ويجهر ببعض الأصوات في حين أنها مهموسة ويكرر صوت الراء ولا ينتبه لتفشي صوت الشين وقس على ذلك.

– عدم الاهتمام بالحركات الإعرابية: وهذا راجع إلى عدم وجود بيئة لغويه تساعد على ممارسة الكلام العربي، كما أنها جاءت من عدم كثرة القراءة والحفظ وعدم وجود كتب تساعد على التعلم.

– الخلط بين همزتين الوصل والقطع .

– النقص الكبير في الرصيد اللغوي: حيث أن رصيد النشأ اللغوي ضعيف جدا نظرا لعدم وجود استعمال لألفاظ الحضارة والعلم وشرح الكتب والتعليم، مما أدى إلى ضحالة مستوى الأداء الكلامي و سطحيته.

2.6. تعويد التلاميذ على الخطابة و الكتابة للحفاظ على اللغة العربية :

من الوسائل المعتمدة في التعليم في المدارس الحرة الاهتمام بالجانب التطبيقي العملي دون إغفال الجانب النظري ، فإضافة إلى ما كان يتلقاه الطلبة في هذه المدارس من تعليم تقليدي تمثل في حفظ القرآن وتفسيره، و الحديث و شروحه و المتون العلمية بشروحها و تعليقاتها مثل الآجرومية و ابن عاشر ومختصر خليل و غيرها من المتون .. نجد الاهتمام منصبا على الجانب التطبيقي " فقد كان الشيخ يدرب تلامذته على الخطابة و الكتابة ، و ينشر ما ينتجه بعضهم تشجيعا لهم في مجلة الشهاب ، ففي ليلة يوم العطلة ، يجتمع الطلبة ليتباروا في إلقاء الأشعار ، و الكلمات المكتوبة أو المرتجلة ، و كل يريد أن يتفوق فيما يأتي به من قول ، نثرا أو شعرا .. و ظهر منهم الكاتب المبدع و الشاعر المجيد و الخطيب البليغ "[46].

هذا الامر أدى إلى أداء كلامي سلس و تصحيح للمستوى الصوتي .لقد ساهم هذا العمل التطبيقي في إيجاد كوادر ذات مستوى علمي متين و كفاءات و مهارات ساهمت في النهوض بأعباء المسؤولية التي أوكلت إليهم فيما بعد للحفاظ على الهوية الجزائرية .

3.6. تعيين المعلمين في المدارس الحرة على أساس التكوين الجيد في العربية :

يعتبر المعلم حجر الأساس في التعليم ولهذا كانت المدارس الحرة تستقطب أهم المعلمين المتمكنين من اللغة العربية وآدابها ، وكانت لجنة التعليم تحت إشراف جمعية العلماء ، موكل إليها التوظيف والتعيين ، ويمكن أن نعطي مثالا على ذلك : ففي 25 أوت 1955م عقدت مناظرة بين المعلمين الشباب الذين تخرجوا من جامع الزيتونة بشهادة التحصيل ، وانضموا لجمعية العلماء ينتظرون تعيينهم في مدارس الجمعية.

أعضاء اللّجنة الممتحنة :

. عن المجلس الإداري لجمعية العلماء : أحمد حماني ، أبو بكر الأغواطي .

. عن لجنة التعليم : إبراهيم مزهودي ، محمد الصالح رمضان .

. عن المديرين : محمد الحسن فضلاء .

الموضوع :

1) . تحرير موضوع في مدة ثلاث ساعات .

الموضوع الأول :. رسالة المعلم كيان للأجيال . . ثقافة المعلم . . أخلاقه وسلوكه . . أثره في حياة تكوين الطفل العقلية وشخصيته المقبلة . . تيقظه وانتباهه للعوامل المؤثرة في الطفل كالأسرة والمجتمع والتعليم الأجنبي . . المدرس في المدرسة وخارجها . . المعلم جندي في حركة جمعية العلماء .

الموضوع الثاني :وهو الذي يهمنا في هذا المبحث :

. انحراف العامية عن العربية . . فقر الألفاظ الأجنبية فيها . . فقر عاميتنا . . بقية الفصحى في العامية .

. وسائل تصحيح ما انحرف من الألفاظ الفصيحة . . الوسائل الأخرى لنشر الفصحى .

2) . درس يلقيه المناظر في القسم مع التلاميذ .

3) . سؤال تربوي شفوي .

وكان عدد المشاركين في المناظرة : 53 [47].

وهذا يبين لنا بوضوح مدى الاهتمام باللغة العربية حينما يكون الأمر يتعلق بتعيين المعلمين المنتسبين لجمعية العلماء فتلاحظ أن جل المواضيع المقترحة تمس الجانبين التربوي و اللغوي.

4.6. الاهتمام بالمحفوظ لنمو ملكة اللسان العربي وصقل المستوى الصوتي :

للحفظ أهميةبالغة في اكتساب رصيد لغوي و أداء محكم للكلام ، ولهذا رأت إدارة المدارس الحرة ومعلموها ما لحفظ النصوص من أهمية في نمو ملكة اللسان ، فجعلت من كثرة حفظ النصوص ودوام المطالعة ، والحديث باللغة العربية يساعد على صقل الأداء الصوتي السليم ، و تنمية الرصيد المعجمي و الدلالي ، كما يساهم في بناء بنية نحوية ثابتة ينتج على منوالها الكلام ، كما أن للحفظ دورا في اكتساب ملكة صرفية تساعد على اشتقاق المفردات بعضها من بعض سماعا وقياسا ، أضف إلى أنه يكسب النشءقدرة بلاغية أدائية ، كما أن النص المحفوظ يحقق الرصيد الفني و التربوي و الأخلاقي .

لقد عملت المدارس الحرة على اتباع منهج تربوي تعليمي يتطور سنة بعد سنة ، على الرغم من قلة الامكانيات ، ولكن كانت المحفوظات أساسية في المنهاج ، وتدرجت في أهمية المحفوظ، فجعلت القرآن الكريم في المرتبة الأولى ، ثم الحديث الشريف ، ثم كلام العرب شعرا ونثرا ثم أيام العرب و النصوص الادبية والأناشيد الوطنية ثم قواعد اللغة العربية .

لقد أدركت المدرسة الحرة أن الإخفاق الذي وصل إليه التلميذ الجزائري في الحصول على أداء سليم للغة مرتبط بتجفيف منابع اكتسابها من قبل المستدمر ، ومرتبط بعدم وجود نصوص راقية محفوظة في ذاكرته ، والتي تمثل منوالا لما يكتب ويتكلم به ، ويمثل القرآن أعلى مستوى في ذلك ، ثم يأتي بعده الحديث الشريف و بعدهما كلام العرب عامة من شعر ونثر .

يمكن اعتبار مجهودات المدارس الحرة اللبنة الأساسية للحفاظ على اللغة العربية في الجزائر رغم الامكانيات البسيطة التي انطلقت منها ، لكن المعلمون و الأساتذة القائمين عليها ومن وراءهم من القادة الموجهين ، كانت لهم رسالة ، وعزم على تحقيق أهدافهم فكان لهم ما أرادوا.

7. الخلاصة : بينت الدراسة أن فرنسا الاستعمارية هدفت إلى وضع استراتيجية واضحة المعالم من أجل القضاء على استعمال اللغة العربية في الجزائر و تحطيم الكيان الثقافي من خلال قطع صلة الجزائريين باللغة العربية ، حيث هدفت سياسة الفرنسة إلى جعل اللغة العربية لغة أجنبية وإحلال الفرنسية مكانها ، أدى ذلك إلى انتشار الأمية بين الجزائريين ، وإحداث تغيرات في المستوى الصوتي لديهم وانعزال المناطق أدى إلى تغيرات صوتية واضحة بين اللهجات في مستوى العربية، الأمر الذي دفع الحركة الوطنية إلى تشجيع بناء المدارس الحرة وإعادة بعث التعليم العربي عبر التراب الوطني من أجل الحفاظ على اللغة العربية و اللسان العربي.وعلى الرغم من ضعف الإمكانيات إلا أن هذه المدارس وبتظافر جهود المساجد والزوايا و الكتاتيب حافظت على الحد الأدنى من استعمال اللغة العربية في الجزائر .وبقي المستوى الصوتي للغة العربية حيا سليقيا على ألسنة الجزائريين .

المراجع :

[1]– ابن جني،**الخصائص**،تحقيق محمد علي النجار، ج .م .ع ، القاهرة ،المكتبة العلمية ،ص 33.

[2]– لسان العرب،ج 15،ص251 ،تاج العرس للزبيدي،المحكم لابن السيدة،المزهرللسيوطي،القاموس المحيط،(مادة لغو).

[3] – علي بن محمد الشريف الجرجاني ،**التعريفات** ،لبنان،بيروت ،1958 ،ج4 ،ص 17 .

[4] – ابن حزم ،**الإحكام في أصول الاحكام**،تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ،ط1 ،القاهرة ،مكتبة عاطف ، 1978،ج1،ص52

[5] – محمود عكاشة ،**علماء اللغة**،ص 202

[6] كان عدد التلاميذ الذين يرتادون المدارس قليل جدا ، حيث كان التعليم يقتصر على أبناء الفرنسيين و الأوروبيين فقط بينما الجزائريين و اللذين يسمون بالأهالي فتضبطهم قوانين خاصة ، ولهذا انتشرت الأمية في أوساط الجزائريين بعد غلق كل المؤسسات التعليمية ومنع التدريس بالعربية طيلة الفترة الاستعمارية .

[7] . يحي بوعزيز ،**السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري (1830 . 1954)** الجزائر : دار البصائر ، ط . خ، 2009 ، ص : 96 .

[8] . يحي بوعزيز ،**سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية** ، ص : 78 .

[9] يحي بوعزيز ، المرجع السابق.

[10] . ينظر نص القرار فيديفوكس،ص : 44 –45 ، و في أوميرا: المكتب الخيري ، ص: 194 ، نقلا عن أبي القاسم سعد الله،**تاريخ الجزائر الثقافي**، ج : 5 ، ص : 161.

[11] . ناصر الدين سعيدوني،**الجزائر منطلقات و آفاق**، الجزائر :عالم المعرفة ، ط 2 ، 2009 م ، ص : 27.

[12]. سعدالله،**تاريخ الجزائر الثقافي**،ج05،ص :167.

[13] . Moniteur Algérien , n 321 , du 9 Janvier 1828 et n 404 de 26 Octobre 1840

[14]. سعد الله ، **تاريخ الجزائر الثقافي** ، ج 5 ، ص : 167 .

[15] . سعيدوني،م .س ، ص :27.

[16] . . Bulltin des lois ,Xemeserie , annee 1848 , t . 2 , n 661 , p : 260ينظر : محمد يحياتن ، دراسات حول اللغة العربية في الجزائر ، ص : 44 .

[17] . **ملاحظات حول تدريس اللغة العربية** ، م . س ، ص : 47 .

[18] . ناصر الدين سعيدوني ،**الجزائر منطلقات و آفاق** ، ص32.

[19]. سعد الله ،**التاريخ الثقافي**،ج: 4 ، ص : 458 ، سعيدوني، ص : 34–35 .

[20] يحي بوعزيز ،**سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954** الجزائر ، دار البصائر ، 2009 طبعة خاصة ، ص 78 ذكرت المواد في هذا المقال سابقا.

[21] المرجع نفسه .

[22] يحي بوعزيز ،**سياسة التسلط الاستعماري و الحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954** ، ص 79.

[23] المرجع نفسه ، ص 80 .

[24] . سعيدي مزيان ،**النشاط التنصيري للكاردينال لافيجري في الجزائر (1867 . 1892)** ، ص : 98 .

[25] . م .ن ، ص : 98 .

[26] . نقلا عن محمد الطاهر وعلي ،**التعليم التبشيري في الجزائري** ، ص : 224 . Les missions catholique françaises en 1900 et 1929 .Paris ,ed amis des mission Aspes , s . d . p : 21 .

[27] . محمد الطاهر وعلي ، م . س ، ص : 224 .

[28] . ناصر الدين سعيدوني ، **الجزائر منطلقات وآفاق** ،**الجزائر** ، عالم المعرفة ، ط2، 2009، ص : 78 .

[29]. ينظر :دوطوكفيل ، **نصوص عن الجزائر في فلسفة الاحتلال والاستيطان** ، ترجمة وتقديم : إبراهيم صحراوي ، الجزائر ، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2008 ، ص : 238 .

*أحد تلاميذ دوساسي .

[30]– مجلة اللغة العربية ,ص:101–102

[31]– محمد علي دبوز ؛**نهضة الجزائر الحديثة و ثورتها المباركة**، الجزائر ، المطبعة العربية لدار الفكر الاسلامي ، ط1، 1971، ص:92

[32]. الآية : 11 ، سورة الرعد .

[33]الشهاب ، مارس 1938

[34]محمد الحسن فضلاء ، **من أعلام الإصلاح في الجزائر** ،ج1 ، 2000، دار هومة ، ص 298.

[35]المرجع نفسه .

[36]. استشهد في جيش التحرير .

[37]. محمد الحسن فضلاء ، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر** ، ج : 2 ، ص : 178 .

[38]. محمد الحسن فضلاء ، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر** ص : 179 . ، ينظر أيضا : محمد الحسن فضلاء ، من أعلام الإصلاح في الجزائر، مرجع سابق

[39]. محمد الحسن فضلاء ، **المسيرة الرائدة** ، ص : 127 .

[40]. محمد البشير الإبراهيمي ، **عيون البصائر** ، ص : 271 .

[41]. عبد المالك مرتاض ،**أدب المقاومة الوطنية في الجزائر (1830 . 1962م)** الجزائر . دار هومة ، 2003، ج : 1 ، ص : 53 .

[42] سعد الله ، **الحركة الوطنية** ، ج 3 ، ص 10

[43]عن التعليم التبشيري ينظر:محمد الطاهر وعلي،**التعليم التبشيري في الجزائر دراسة تاريخية تحليلية** ، الجزائر ، منشورات دحلب ، 2009

[44]. محمد الحسن فضلاء ترأس إدارتها (1944 . 1949م) .

[45]. محمد الحسن فضلاء ، **المسيرة الرائدة للتعليم العربي الحر بالجزائر** ، ج : 2 ، ص : 48 .

[46]محمد الصالح الصديق ، **الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس من آرائه و مواقفه** ، الجزائر ، ص : 35.

[47]. محمد الحسن فضلاء ، **المسيرة الرائدة** ، ج : 2 ، ص : 84 .